روبير سوسّوا

كتاب ثقافي عسكري

المعارك البحرية الكبرى في التاريخ

مجلد ٧

ترجمة

الدكتور عبد الرحمن حميدة

أستاذ في جامعة دمشق

مركز الدراسات العسكرية

دمشق ١٩٨٤

تقـديـم

يقدم مركز الدراسات العسكرية لضباط قواتنا المسلحة كتاب :

« المعارك البحرية الكبرى في التاريخ » وهو ترجمة عن اللغة الفرنسية .

يتعرف القارىء من خـلال هذا الكتاب على احـد ميادين القتال بـين القـوى المتصارعة في العالم منذ الأزل ، ويجدر في هذا الصدد أن نذكر ان امتنا العربية لم تكن امة بحرية بمعنى الكلمة ، ولكنها امة ركبت البحر في ماضيها التالد ، وجابت محيطاته خلال الفتوحات وقاتلت على متنه اعداءها والطامعين بها في معارك بحرية كثيرة .

في قراءة هذا الكتاب فائدة لقادتنا وضباطنا في القوات المسلحة .

حزيران ١٩٨٤

مركز الدراسات العسكرية

العرب والبحر

ليس هناك من زعم أكثر مجافاة للصواب وبعدا عن المنطق مـن الرأي القائل بأن العرب في جاهليتهـم وصدر اسلامهم كانوا يحجمون عن ركوب متن البحر ، والحقيقة ان للعرب حضارة وتقاليـد بحرية موروثة راقية ، اكتسبها ، خلال مئات السنين الخالية ، عرب اليمن من حمير وسبأ وسواهم ، شهدتها سواحـل البحر الاحمر والبحر العربي المطل على المحيط الهندي ، منـذ أيام التبابعة ، كما اشتهر عرب الخليـج ، ولاسيما سكان البحرين في الملاحـة ، شـأن ساحـل الاحساء ، ولاسيمـا في مينائهـم الشهير « الجرعاء » الذي لعب دورا كبيرا في الالف الاول قبل الميلاد ، ويؤيد ذلك قول الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم :

ملأنـا البـر حتى ضاق ذرعـا وظهـر البحـر نملؤه سفينـا

ولقد تأكد بشكل جازم ان العرب المعينيين ، في اليمن، كانوا يتمتعون بمكانة تجارية مرموقة في المحيط الهندي ، منذ القرن العاشر قبل الميلاد وان نفوذهم في البحار المواجهة لليمن ، كسواحل القرن الافريقي، لم يكن باقل من نفوذ وشأن العرب الكنعانيين « الفينيقيين » في البحر الابيض المتوسط . ويصف سترابون في كتابة « جغرافيا » باسهاب واعجاب مـدى ما كان للعرب من سلطان في البحر العربي والمحيط الهنـدي وسواحل افريقية الشرقية والحبشة ، حتى ان مدينة « الشحر » ، على الساحـل الجنوبي مـن جزيـرة العرب ، كانت ملتقى سفن الهند ومصر وفارس . ويذكر بلـين ، المؤرخ الروماني في القرن الاول الميلادي : « ان التبابعة ، ملوك اليمـن ، كانوا يتصلون بشواطىء افريقيـة الشـرقية بحرا ويبسطون أيديهـم على تجارتهـا ».

إذن فالقول بخشية العرب من ركوب البحار قبل الاسلام لا يصح الا على فئة من عرب قلب الجزيرة من الذين كان جل نشاطهم الاقتصادي منحصرا بالرعي أو بتجـارة القوافل ، حتى أن عرب الحجـاز الذين اتخذوا البر طريقا لتجارتهم ما كانوا يجهلون البحر .

ويؤيد ذلك ان المسلمين الاوائل قد هاجروا باذن من الرسـول العربي الكريـم الى الحبشة فرارا بدينهم واتقاء تعسف وظلم مشركي قريش ، وكانت هجرتهم على دفعـات متوالية في سفن تقصد الحبشة ، ولولا أن أهل مكة كانوا يترددون على سواحل الحبشة في العصر الجاهلي لما فكروا بالهجرة اليها لاجئين الى النجاشي من مظالم اخوانهم في الـدم .

وقد تعرضت جزيرة قبرص اكثر من مرة لغارات الاسطول الاسلامي الناشىء في عهد الخليفة الاول ابي بكر ، وكانت اهمها ذلك الهجوم على ميناء كيتيون (لارنكا الحالية) في عام ٦٤٢ م وكان القصد منه الدفاع الوقائي عن الثغور الاسلامية وصد العدوان المتكرر من جانب الروم الحانقين بعد بتر شطر من امبراطوريتهم على أيدي العرب الفاتحين .

وقد حاول معاوية بن أبي سفيان والي الشام في عهد الخلفاء الراشدين غزو جزيرة قبرص وفتحها، لانها كانت تؤلف قاعدة بيزنطية وشوكة في خاصرة دار الخلافة،ونقطة لانطلاق اسطولهم الذي ما فتىء يداهم سواحل بلاد الشام بين الفينة والاخرى ، ولهذا استأذن الخليفة ابا بكر في غزو الروم بحرا من الشام فلم يأذن له، وكرر محاولته في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فكان الجواب : « لا والذي بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما » . وبذلك لم يأذن لاحد من أمراء المسلمين بركوب البحر غازيا ، حتى انه كتب الى الوالي عمرو بن العاص : « لا تجعل بيني وبينك ماء ، وانزلوا موضعا متى اردت أن أركب راحلتي وأصير اليكم فعلت » .

ولكن العلاء الحضرمي ، والي عمر بن الخطاب على البحرين ، آحب أن يفعل بالعجم ما فعله سعد ابن أبي وقاص في القادسية ، فندب عرب الخليج الى حرب الفرس بحرا ، فلبوا النداء ، وتسرعوا الى ذلك ،ففرقهم اجنادا ، ثم حملهم في البحر ، دون اذن من عمر بن الخطاب ولا موافقته ، فعبروا الخليج ونزلوا الى البر الفارسي ، واوغلوا فيه حتى وصلوا الى اصطخر ، وكانت قصبة الملك في تلك البلاد حينا من الدهر ، وقاتلوا الفرس قتال المستميت ، فظفروا بهم) .

وكان من أهم ما حدا بالعرب الى الاهتمام بركوب متن البحر الابيض المتوسط هو الدفاع عن بلادهم في وجه الاطماع البيزنطية والاوروبية التي لا تحد، وهذا ، بالذات ، ما جعل الخليفة الثالث عثمان بن عفان يسمح ببناء اسطول عربي بعد أن تعرضت مصر ، بعد فتحها ، لغارة بيزنطية عن طريق البحر ، فاحتلوا الاسكندرية ، ولم يتمكن العرب من استردادها الا بعد الكثير من الجهود والتضحيات في الارواح .

ولما كانت الدولة البيزنطية دولة بحرية تملك أقوى أسطول في البحر الابيض المتوسط الشرقي اقتضت الضرورة الحربية أن يكون للدولة العربية الاسلامية قوة تقف منها موقف الند للند . واستطاع اخيرا والي الشام معاوية بن ابي سفيان أن يقنع الخليفة عثمان بعد محاولته الاولى مع الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، وللمرة الثانية ، في أوائل عهد الخليفة عثمان بن عفان ، بالفائدة التي تعود على دولته من انشاء بحرية اسلامية ، فاجابه الى طلبه ، وبذلك استحالت الممانعة في ركوب البحر ، في أيام عمر ، الى ترحيب في اواخر أيام عثمان ، وبذلك أصبح لدى الدولة العربية اسطول تتالف طواقمه من ملاحين يمنيين ومن أهل سواحل بر الشام ومصر ممن تقفوا فن التوغل في البحر ولهم تقاليدهم في بناء السفن المختلفة الانواع والمقاييس .

وكان معاوية اول من وضع للدولة العربيـة سياسة خارجية واضحـة المعالم تتبناها ازاء الدولـة البيزنطية ، وكان مما دفعه الى توجيه نشاطه الى هذه الدولة رغبته في دفع خطر الروم عن الدولةالعربية، هذا الى جانبتطلعاته الى بلوغ ذروة المجد عنطريق فتح القسطنطينية بعد أن فاتته فرصة إظهار شخصيته في الفتوح العربية الكبرى .

ومن ثم بدأ فيغزو جزر البحر الابيضالمتوسط الخاضعة لنفوذ الروم بعد أنأصبحللدولةالاسلاميةالناشئة اسطول يساند قواتها البرية فغزا جزيرة قبرص سنة ٢٨ للهجرة أو ٦٤٩ م بعـد أن عهدت اليه الخلافـة بمهمة فتحها ، ولكن دون أن يترك حامية أو جالية عربية مستوطنة فيها لان المعركة الحاسمة مع الاسطـول البيزنطي لم يحن أوانها بعد ، وأخيرا خضعت قبرص بعد حملات متواليات وفرض عليها معاهدة عام ٦٨٨م التي قضت بان تدفع جزية سنوية الى الخلافة فضلا عن جزيتها التي ظلت تدفعها الى بيزنطة .

معركة ذات السوارى :

لقد وقعت أول معركة بحرية هامة بتاريخ ٢٩ آب ٦٥٤ أو ٣٤ هـ . في خلافة عثمان بن عفان ،وهو يـوم « البحرية العربية » التقليدي تخليدا لذكرى انتصارهم المظفر ، بقيادة عبـد الله بن سعد ابن أبي سرح ، وفيها تم القضاء على اسطورة الاسطول الرومي ، وقد سبق لهـذا القائد القرشي فتـح افريقيـة الشمالية الوسطى أو « ليبيا » الحالية ، بعد أن سيطر على ما بين برقة وطرابلس ، وقد بلغ اسطولهذا القائد في مصر ميلغا من القوة والكثرة جعله يسيطر على طرق الملاحة في البحر الابيض المتوسط ويوقعالرهبة في نفوس الروم .

وكان اسطوله يتالف من مائتي سفينة تصدى لاسطول بيزنطي اكثر منـه عـددا ، بالقرب من ثغر الاسكندرية وأوقع باسطولهم الذي كان يقوده الامبراطور قسطنطين الذي خلف هرقل . وعمد العرب الـى ربط كل سفينة عربية ، بعد الالتحام، بواسطة خطافحديدي بسفينة رومية، فحولوا بذلك المعركة البحرية الى اقتحام وقتال بالسلاح الابيض ، فابادوا الاسطول الرومي عن بكرة ابيه ، كما سبق لهم ان فعلوا فـي معركةاليرموك البرية التي كان يقود جيوش الروم فيها ماهان الارمني ، ويـذكر الطبري ان ميـاه البحـر اصبحت مشبعة بالدمـاء .

واندفع بعد ذلك لمهاجمة القسطنطينية سنة ٦٧٤م ولكن الاسطول العربي انسحبعلى اثر استعمال البيزنطيين النار اليونانية ، فعقد صلح بين الفريقين .وهاجم مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية برا،بينما كان الاسطول العربي يغلق مدخل البوسفور وذلك في شهر ايلول ٧١٧ م ، ولكن مسلمة انسحب إثر وفـاة اخيه الخليفة سليمان سنة ٩٩ هـ/٧١٨ م .

وظلت الاساطيل العربية تتراوح بين القوة والضعف حسب قوة الدول التي نشأت بعد انفراط عقد الخلافة ، وراحت كل دويلة عربية تحارب لحسابها على انفراد . فنشأ اسطول عربي قوي أيام المماليك استطاع أن يحتل جزيرة قبرص ، لوقت ما ، وان يرد غارات البرتغاليين عن الموانىء العربية في البحر الاحمر . هذا كما بلغ اسطول خير الدين بربروس الجزائري مبلغا من القوة جعله سيد البحر الابيض المتوسط الغربي الى أن تم القضاء عليه في معركة ليبانت بعد أن جاء لنجدة الاسطول العثماني الذي خاض معركة ضارية ضد الاساطيل الاوربية المتحالفة ، وقد استطاع اسطول طرابلس الغرب أن يفرض الجزيةعلى السفن الاوروبية ، وحتى الامريكية، التي كانت تمخر عباب البحر الابيض المتوسط خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر، مثلما فعل الاسطول المصري المتحالف مع العثمانيين في معركة نافارين فيأيام محمد علي باشا.

وأخيرا تم القضاء على الاسطول المغربي ، الذي ظل صامدا خلال عدة قرون في وجه البرتغاليين والاسبان ، اذ لجأت فرنسا الى بيع قطعه بالمزاد العلني ، بعد أن فرضت حمايتها على المغرب الاقصى ، الذي لم يعرف في تاريخه ان ذاق مرارة الحكم الاجنبي .

ولنا وطيد الأمل والرجاء أن يستعيد العرب مكانتهم البحرية وان تخفق راياتهم فوق المحيطات والبحار بفضل اساطيلهم الحربية والتجارية الناشئة كي يستردوا عزتهم التي كانت لهم ، والتي لا حياة كريمة من دونها .

دمشق في ٢٥ رجب ١٤٠٤ هـ الموافق ٢٥ أيار ١٩٨٤ م .

المعرب : عبد الرحمن حميده

دكتوراه الدولة بالآداب من السوربون

تمهيـــد

من الطبيعي أن يبذل بنو الانسان جهودا أكبر لضمان السيطرة على البحار من تلك التي يضطرون للقيام بها للاستيلاء على أجزاء من القارات •• ولكن ما بالـك بالمحيطـات ؟

فالبحار تقدم طريقا رحبا خاليا من العوائق الهامـة ، طريقا يسمح بالتغلب على كل المصاعب ، وبنقل منتجات الأرض ، مهما كانت ، نحو أكثر بقاع الأرض بعدا ، ولكن على أن يتوفر شرط بدهي ، هـو أن لا تكون هناك منافسة • وعندما كانت تظهر هذه المنافسة ، في الماضي ، كان من الضروري القضاء عليها دونما تأخير ، ولهذا كانت هناك ضرورة اقتناء اسطول حربي قدير ، رغم ارتفاع كلفة ذلك ، ولكن ليس هذا عبثا ، وذلك لكي يقوم هـذا الاسطول بحراسة الأساطيل التجارية ، ولتأمـين حـرية التجـارة • فالحربان العالميتان ، بعـد الاستعانة بقطع اسطـول السطح ، وبالغواصات ، وبالطيران المحمول ، برهنتا ، الى أقصى حـد ، على ضرورة أخرى من أجل الهيمنة على البحـار لضمان الانتصار على البر : وهي ضـرورة الاحتفاظ بطرق المواصلات • فلو خسر الأميرال جلليكو في عام ١٩١٦ معركة جوتلند البحرية تجاه الساحل الدانمركي ، لما أمكن تحقيق الانتصار على الجبهة الغربية ، ابتداء من دنكرك الى جبال الفوج • ولو لم يكن بالامكان ابادة اسطول الغواصات الالمانيـة الهائل في عام ١٩٤٣ ، لاضطر التحـالف الانكليزي الامريكي للجلوس على مائـدة المفاوضات مع الفوهرر •

وكانت أوائل المعارك البحرية تنشب بين أساطيل صغيرة مدفوعة بالمجداف ، وبعدئذ بواسطـة الشراع • ولم يكن المدفـع معروفا بعد ، وكانت المشكلة تحسم باقتحام السفن المعادية ، والى احراق هيـاكل السفن الخشبية • وبعدئذ ظهرت على سائر المحيطات سفن عاليـة الجوانب كانت خواصرها مجهزة بمدافع بحرية ، والتي

كانت تؤلف القـوة الضاربة في ذلك العصر وتتمتع بحماية سفن أخرى أقل تسليحا، مثـل الفرقاطات والحراقات • وكانت هـذه السفن الصغيرة تستخـدم في عمليـة الاستكشاف وكان أمـراء البحر يقيمون استراتيجيتهـم البحرية على أساس مـن المعلومات التي يجمعونها • وكثيرا ما كانت هذه المعلومات هزيلة ، متناقضة ، ممـا يقودهم لتجشم عنـاء أسفار متباعدة عبر الفيافي البحرية المقفرة في أغلب الأحيان ، والمؤلفة من تلك السهول السائلة وحيث تتلاعب العواصف بهذه الزوارق النحيلة • فقد ظل نلسون خلال شهور كاملة يبحث عن الاسطول الفرنسي ، بقيادة فيلينوف، الى أن حصره في الطرف الأغر على الساحل الاسباني وكسب لمصلحة انكلترا تلك الحرب التي كان نابوليون يشنها ، دون أمل ، من أسبانيا حتى موسكو ، لأنه كان يفتقر الى القوة البحرية •

ومع تطور المدفعية ، وتزايد مدى قذائفها ، أصبحت السفينة الحربية بعد قليل بحاجة الى درع • وبعد ان كان هـذا التصفيح رقيقا جدا ، أصبحت الحاجة ماسة لتقويته ، مما أدى الى تخفيف سرعة السفن الحربية ، بيد أن الأجهزة المحركة تحسنت أيضا بدورها ، ولم تعد الملاحـة تعتمد على الشراع بل على قوة البخار ، وذلك على مسافات هائلة ، وبسرعة تراءت مذهلة في مطلع هذا القرن •

ذاك هو عصر الدارعات ، وبعد قليل جاء دور سفن الدريدنوت وهي سفينـة حربية من طراز جديد ، ظهرت لأول مرة عام ١٩٠٦ مجهزة بصوار ثلاثية القوائم وذات مدفعية كبـيرة المقياس يديرهـا ضابط مدفعي ويوجهها اوتوماتيكيا • وسـرعان ما أصبحت سفن الدريدنوت بعبح البحار ، في حـين كانت الطرادات الخفيفة ، التي كانت تفوقها سرعة تشن حرب القرصنة وتهاجم السفن التجارية الى أن تـم القضاء عليها بواسطة سفن أكثر منها قوة •

وقد حققت الملاحة التحتمائية ، بدورها ، خطوات جبارة بعد ظهور غواصات اوبوت الألمانية التي زرعت الذعر على الطرق البحرية •

ولقد اقتضى القضاء عليهـا ، في الوقت الذي كانت فيه وسائل التحري عـن

الغواصات بدائية ، اللجوء الى استخدام السفن ــ الأفخاخ • وأثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ــ ١٩١٨ دارت معركة كبيرة هي معركة جوتلند ، التي أعطت الدليل القاطع على سمو التفوق الجوي لدى انكلترا ، والتي قررت مصير ألمانيا خلال بضع ساعات • وبعد قليل ظهرت ، أوائل طائرات الاستكشاف •

ولقد كان الرادار وحاملة الطائرات ، والقذيفة التحتمائية ، أهم الاكتشافات الكبرى التي كونت وسائل الحرب الجديدة فوق البحر خلال الحرب العالمية الثانية في فترة ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ • وراحت أساطيل ضخمة تمخر عباب البحار• وأصبحت البوارج الكبرى المدرعة والتي قامت بدورها الأخير ، عبارة عن سفن عملاقة ترسل لمسافة ٣٠ كيلو مترا أو أكثر قذائف تزن ٩٠٠ كيلو غرام ، مثلما راحت تتمتع بحماية « مظلة جوية » تتألف من الطائرات المحمولة• ولم يكن لدى ألمانيا حاملات طائرات، لهذا لم تتمكن، رغم تميز سفنها السطحية، وأهمية عدد غواصاتها ، أن ترقى لمستوى الأساطيل البريطانية • أما في المحيط الباسفيكي فقد نشبت حرب حياة أو موت بين البحارة اليابانيين وبين رجال البحر الامريكان •

وعندما أخذت الصناعة الثقيلة الأمريكية تعمل بكل طاقتها تفوقت بدرجة لاتقبل الموازنة ، على الصناعة اليابانية الفقيرة • وراحت الولايات المتحدة تضاعف من عدد حاملات طائراتها ، وأخذت المعارك البحرية تنشب«فيما وراء الأفق»بضربات الطائرات القاذفة ، وبقوة الطرابيد ، التي أصبحت أكثر دقة واحكاما يوما بعد يوم•

بدأت أجهزة الرادار تنبىء بصورة لا تقبل الشك عن اقتراب أية قوة بحرية ، كما أخذت السفن المختصة تطارد الغواصات في الاعماق البحرية التي كانت تحاول أن تجد ملجأ لها في عبابها • وفي أيامنا هذه وان كنا لا نزال في عصر حاملات الطائرات ، فان البواخر المدرعة اختفت كي تترك مكانها لسفن صغيرة سريعة قاذفة الصواريخ التي تؤمن سلامة البحار لأواخر أساطيل السطح ، والمؤلفة من الطرادات النووية •

أما الغواصات فقد أصبحت هي أيضا نووية وتسلحت بصواريخ قوية تسمح

لها باصابة أي هدف كان في أي بقعة من سطح كرتنا الأرضية بثقة تامة • وهناك العديد من الغواصات التي تستطيع أن تظل غاطسة مدة أسابيع كاملة وحتى لمدة شهور برمتها ، كي تقوم بدور الديدبان في قاع المحيطات ، تترصد ساهرة تنتظر فريستها ، سواء من هذا الجانب أو من الجانب الآخر من الكتل المتصارعة على سيادة العالم • غير أن هناك سفن تجسس تحاول كشف سر المنشآت المعادية • وتظل الولايات المتحدة حتى هذه الساعة سيدة البحار ، وقد اكتشف الاتحاد السوفييتي بعد لأي بأنه أهمل بناء حاملات الطائرات بأعداد كافية •

يسرد لنا الكاتب المتخصص بالشؤون البحرية ، روبير شوسوا ، باسلوبه الشيق المعهود ، تفاصيل المعارك التي دارت على البحار منذ أقدم العصور حتى أواخر الحرب العالمية الثانية • ففي الطرف الأغر ، وفي خلال يوم واحد بلغ عدد قتلى الاسطول الحليف الفرنسي الاسباني الألفين • وفي شهر أيار ١٩٤١ وفي خلال بضع ثوان انفجرت البارجة البريطانية هود بعد أن أصابتها مدافع البارجة الالمانية بسمارك ، واختفت وجرّت معها نحو الاغوار البحرية كل طاقمها باستثناء ناج واحد •• وفي بضع دقائق وتجاه السواحل الماليزية غرقت بارجتان من أفضل قطع الاسطول البريطاني وهي « البرنس اوف ويلز » و « ريفنج » نتيجة اصابتهما بوابل من قذائف الطائرات اليابانية ، وشيئاً فشيئاً • ومنذ معركة ميداوي ، راحت حاملات الطائرات اليابانية الضخمة تذهب في اتجاه الأعماق ، وكذلك البوارج من حمولة ٦٠٠٠٠ طن ، والتي كانت تخرج سراً من الترسانات اليابانية ، والتي تعرضت بدورها للدمار قبل أن تتمكن من القيام بأي دور يذكر •

وسنبدأ بمعركة سالامين •

لويس غارّو

★ ★ ★

سالامين

٤٨٠ قبل الميلاد

ثيميستوقل ، قائد الاسطول الاغريقي يسجل انتصارا باهرا على اسطول كيخسرو و (١) ، في أول معركة بحرية كبرى في التاريخ

لقد دفع اكتشاف عرق صخري غني بخامات الفضة ، حوالي العام ٤٨٣ ق م في أقليم لوريوم في جنوب شرق أثينا ، دفع بثيميستوقل ، زعيم الحزب الديموقراطي في أثينا ، الى أن يشعر أن ساعة تحقيق طموح ظل يخفيه منذ أمد طويل قد أزفت . ترى هل سينصح باقتسام هذه الموارد غير المنتظرة بين أفراد الشعب الأثني بسخاء، لتحقيق رفاه الجميع ؟ لا معنى لذلك . فالمصادر المالية كانت على درجة من الوفرة لا بأس بها ، وهناك عمل أكثر نفعا من القيام بعمل انساني سرعان ما يتلاشى مفعوله. وهكذا ارتأى رجل الدولة هذا ، والذي كانت أنظاره مشدودة باستمرار نحو البحر ، أن الوقت قد حان لكي يجعل من بلده دولة بحرية كبرى ، فقد حاول جاهداً اقناع الأثينيين بجدوى بناء أسطول بحري يستحق هذه التسمية . ولم تكن حججه تفتقر الى الوزن ، لان انشاء هذه القوة البحرية ، بادىء ذي بدء ، لن يلحق الافلاس بأي مواطن اذ سيكون الانفاق على هذا المشروع من موارد اضافية ، وسيساعد هذا الاسطول ، ثانياً ، على ردع الإيجنتيين ، وهم سكان جزيرة تقع في عرض البحر ، تجاه أثينا ، أو سيعمل على تحييدهم على الأقل ، وهم الذين كان تطلعهم الى القرصنة مصدر قلق على المدى الطويل ، وأخيراً ، وعلى الخصوص ، كان هناك خطر الفرس،

---

(١) كيخسرو الاول ، أو خشايرشه بالفارسية ، هو ملك بلاد فارس بين عامي ٤٨٥ و ٤٦٥ ق م ، وهو ابن داريوس الاول . وكان محدود الذكاء ، متكبرا وضعيفا ، وبعد أن أخضع مصر المتمردة استانف مشاريع والده في بلاد اليونان فاجتاح آتيكا ودمر أثينا ، غير أنه انكسر في موقعة سالامين واضطر الى العودة الى البر الآسيوي هاربا ، في حين انكسر جيشه في بلاتيه . وقد اغتيل في مدينة سوز في مشاريع والده في بلاد اليونان فاجتاح اتيكا ودمر أثينا ، غير انه انكسر في موقعة سالامين واضطر الى الاهواز الحالية ، على يد الخصي اسباميثريس ، وقائد الحرس أرطبان .

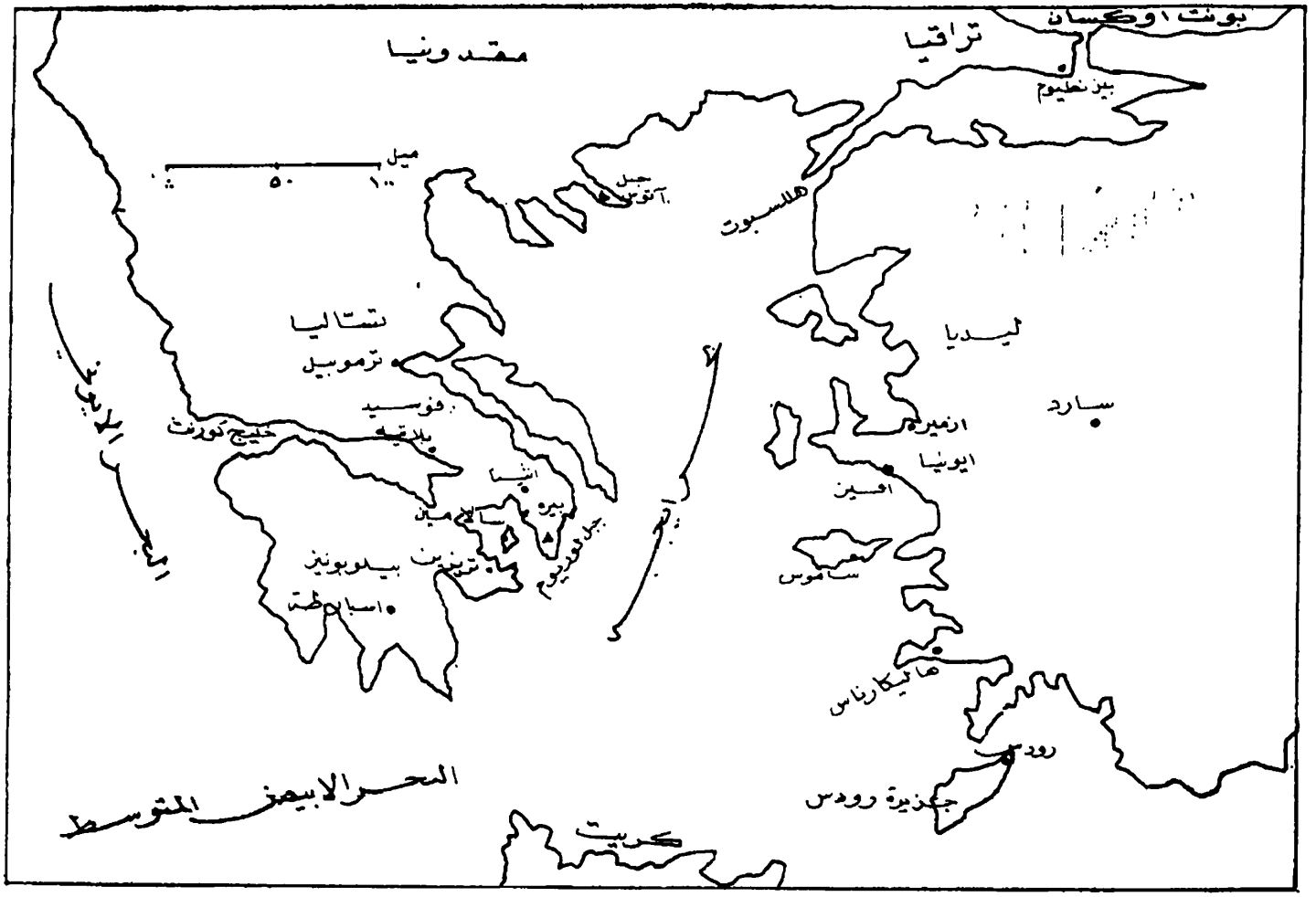
مقدونيا
تراقيا
بونت اوكسان
بيز نطيوم
ميل
٥٠
١٠٠
جبل آثوس
هللسبونت
تساليا
ترموبيل
فوسيد
خليج كورنث
بلاتيه
انيا
بيره
سالامين
جبل كيثيرون
بيلوبونيز
ترينيز
اسبارطة
البحر الايونى
ليديا
سارد
ازميرة
ايونيا
افسس
ساموس
ماليكارناس
رودس
جزيرة رودس
كريت
البحر الابيض المتوسط

فوجود أسطول قوي الشكيمة يقطع الامدادات عن الجيوش المعادية في حالة اجتياح بلاد الاغريق ، يعرض هـؤلاء الغزاة للمجاعة وبالتالي الى البحث عن سلامتهـا في انسحاب سريع .

والواقع لقد كان الفرس مصدر قلق الاثينيين ومخاوفهم . ففي عام ٤٩٢ق م ، بعث داريوس الأول[٢] بأسطول قوي لاخضاع الاغريق ولكن عاصفة هوجاء شتتت شمله قبل أن يبلغ الهدف ، اذ تحطمت ٣٠٠ بارجة وهلك ٢٠٠٠٠ من رجاله . ولمـا

ثيميستوقل بطل معركة سالامين

---

(٢) داريوس الاول بن هيستاسب ، ملك بلاد فارس بين ٥٢١ الى ٤٨٦ ق.م . ونشر الامن في امبراطوريته ونظمها وقسمها الى عشرين مقاطعة . وقد فتح الهند بين ٥١٤ و ٥١٢ ق.م . وقمع ثورة اليونـان في آسيا الصغرى . ولقد شهد دمار أسطوله أمام جبل اتوس بسبب عاصفة هوجـاء عـام ٤٩٢ ق.م ، ثم انكسر أمام اليونانيين في موقعة ماراثون في عام ٤٩٠ ق.م . ثم انهزم جيشه في موقعة بلاتيه بقيادة مردونيوس سنة ٤٧٩ ق.م . وفكر في القيام بحملة ثانية ضد اليونانيين وانصرف لتهدئة الاحـوال في مصر بعد ثورتها الى أن مات . وهو الذي شيد قصرا في سوز وفي برسيبوليس التي احتفل فيها شـاه ايران السابق في عام ١٩٧٢ بمناسبة مرور ٢٥٠٠ عـام على نشوء امبراطورية فارس ودعا العديد مـن ملوك العالم ورؤساء جمهورياته .

أصبح جيشه البري دون أقوات وامدادات لا يمكن نقلها الا بطريق البحر • انكفأ أفراده عائدين سيراً على الأقدام بمحاذاة ساحل مقدونيا وعجزوا عن تحقيق مقاصد قادتهم ، ووجدوا أن من الأحرى بهم أن يعودوا أدراجهم ، وهذا ما حصل بالفعل •

وفي عام ٤٩٠ ق•م جهز كيخسرو ، أبن داريوس الأول ، حملة ثانية أصابها الفشل بفضل مهارة قائد يوناني هو ميلتياد ، الذي كسب معركة ماراتون الشهيرة ، والتي ظل اسمه عالقاً بها ، دون أن ننسى اسم الساعي فيديبيد الذي قطع مسافة ٢٤٠ كيلو متر في أقل من يومين لينذر أسبارطة بوصول الفرس • ولقد اقتنع ثيميستوقل بأن الفرس يستعدون لهجوم ثالث ، وأفلح في نقل مخاوفه الى مواطنيه • غير أن زعيم الحزب الأريستوقراطي ، آريستيد ، أعلن عن معارضته لفكرة ثيميستوقل التي وجدها عبارة عن مغامرة ، فاختار المنفى ، اذن لم يبق أمام ثيميستوقل من يضع العصي في العجلات •

ميتياد قاهر الفرس في مارائون

أسطول لا مثيل له :

ما أن حصل ثيميستوقل على التفويض المطلوب حتى أصدر أوامره في الحال لبناء مائة قادس وهي سفينة حربية شراعية ذات ثلاثة صفوف متنضدة من المجذفين• ولم يكن المجذاف يستعمل الا في حالة المناورة عند المعركة ، لان الشراع كان العنصر

رمـاة جيش داريوس الملكي

الدافع عند الابحار هذا اذا هبت ريح طيبة تنفخ الأشرعة • ولم يكن الاغريق في حاجة لأن يتلقوا درساً من أحد في بناء هذا الأسطول ، لاننا اذا استثنينا الفينيقيين ، وجدناهم أقدم بحارة عرفهم التاريخ • ولقد برهنت مراكبهم الحربية عن مقدرتها في معركة طروادة في عام ١٣٧٠ ق•م •

ومما يثير الاستغراب أن الاغريق ، وهم خبراء في فن البحرية ، قد أهملوا أسطولهم الحربي • وعندما قرر ثيميستوقل تجديده لم يكن يضم حينئذ أكثر من خمسين قادسا • وقد كان تشغيل الترسانات سريعا• ولكي لايشعر كيخسرو بخطورة ذلك ويرى فيه استفزازا وتحديا ، سرت شائعة على نطاق واسع بأن الاستعدادات تجري على قدم وساق للقيام بحملة تأديبية ضد القراصنة الايجنتيين • واعتمادا على أرباح مناجم الفضة التي اكتشفت حديثا بالاضافة الى فوائد مناجم مارونيه التي كان استغلالها أقدم عهدا ، أمكن بناء مائتي قادس خلال ثلاثة أعوام لاغير • وهذا ما يستحق تسمية حرق المراحل•

وقد كانت هذه المراكب ممتازة سواء من وجهة النظر الى صلابتها أو من حيث سرعتها ، أو من وجهة النظر الى سهولة المناورة عليها • ومع أن طولها كان يقارب الأربعين مترا فقد كانت تغير اتجاهها محليا وترجع للخلف في سرعة تعادل تماما حركتها للأمام • وكانت القيادة فيها تقوم على عاتق خمسة ضباط كان رئيسهم يدعى قائد القادس (trième) ومع أنه يعتبر القائد الأعلى فلم يكن من الضروري أن يكون بحارا، اذ يكفي أن يكون عسكريا فقط• ويعمل تحت إمرته قبطان يدعى كوبرنتس وهو عادة بحار قديم على اطلاع بكل أسرار البحرية • ويستخدم كل حذقه في قيادة الحركة • وكان القادس مجهزا بثلاثة صفوف من المجاذيف ، القصيرة في الاسفل ، والوسطى في الوسط ، والطويلة في الاعلى • وكان يعمل في التجذيف ١٧٤ رجلا في كل مركب• وكان يشرف على حركتهم الايقاعية رئيس يدعى كيلوست أو ما يقابل رئيس غرفة المكائن على السفن الحالية وكان يستعين بنافخ مزمار • وكان هؤلاء المجذفون رجالا أحرارا يعتبرون العمل على المراكب الحربية شرفا لهم• أما البحارة فلم يكونوا كثرا، لأن عملهم هو توجيه الشراع الذي كان لا يزال غاية في البساطة • وكان يكتمل عدد

رجال المركب بعشرين محاربا منهم بضعة رماة والباقي من الجنود المدججين بالسلاح والمدرعين حتى أسنانهم • وهكذا كانت البحرية الايثينية مجهزة بعدد من الطراز الأول • وبتنظيم فريد من نوعه • وبتجهزات لا نظير لهـا • وبعبـارة أخرى كانت تتمتع بأفضل مؤهلات الفوز في المعركة •

مليون رجـل على درب الحرب :

ترى هل كان لدى كيخسرو حدس بوجود تهديد ؟ اذا كان الجواب بالايجاب، فقد كان يفكر ، بلا ريب ، بأن أفضل استعراض من حيث النتائج هو البدء بالهجوم الذي كان يستعد له منذ أربعة أعوام • ولما كان أقل خبرة من والده فقد أعرض عن سماع نصائح عمه أرطبـان الذي كان قد حنكته الأيام والذي كان لا يكف عـن تحذيره •

ـ احذر ، أيها الأمير ، من أن يقطع عليك الاغريق طريق العودة • ان التفكير الطويل في قضية ما يجنب الانسان اللوم مهما كانت النتيجة •

ـ وكان جواب كيخسرو : لقـد عاد جيشي منتصرا من مصـر ، انـه جيش لا يقهـر •

ـ لا يبهرنك بريق مجـدك ، فأكثر الأشجـار ارتفاعـا هـي الأكثر تعرضا للصاعقة •

ـ ان صفاقة كهذه تستحق عقابها ، يا عم • ستبقى هنا خلف النسوة اللواتي لا تقل عنهن جبنا • وسيكون هذا جزاؤك •

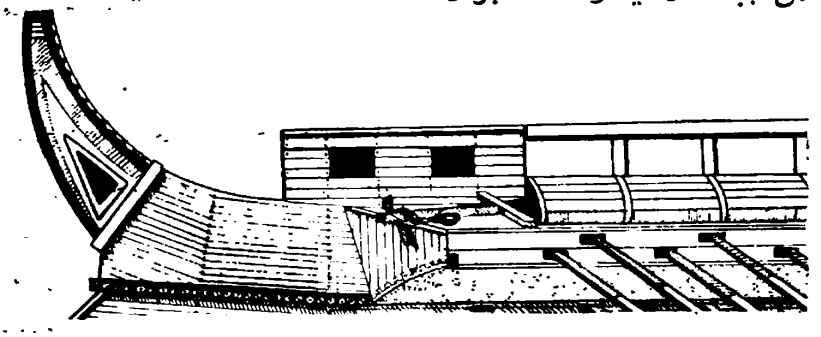

اعادة تمثيل القادس الاغريقي ويظهر في المقدمة المهماز النحاسي

وفي ربيع عام ٤٨٠ ق٠م جمع كيخسرو في آسيا الصغرى جيشاً لا يقل تعداده عن مليوني محارب ، مؤلفاً من فرس وميديين وعرب وليديين وساسيين[٣]، وآشور، وهيركانيين[٤] وهنود الخ ... واذا أضفنا الى ذلك النساء والخدم والعمال والرقيق فان الركب المتحرك كان يتجاوز الخمسة ملايين نسمة ، حسب أقوال هيرودوت .

وكان كيخسرو يقود بجبروته هـذا الجيش الخليط المزيج . والذي كان يضم أشتاتا من كل أقوام آسيا . ولما عرض بيثياس ، أميرليديا أو منطقة أزمير الحالية ، على كيخسرو كل ثروته مقابل الاحتفاظ بولده المجنّد في الجيش الذاهب للحرب ، أمر كيخسرو باعدام هـذا الشاب تحت ناظري والده . ثـم شطر جثته الى قسمين ووضع قسما من جسمه على اليمـين والنصف الآخر على اليسار ، ومر جيشه بـين الشطرين . وياله من مزاج غريب ...

وقد استطاع هذا الجيش اللجب أن يعبر مضيق هيللسبونت ، وهو الدردنيل حاليا والبالغ عرضه ١٣٠٠ متر ، بالاستعانة بجسر من سفن مترابطة بواسطة حبـال من كتان ومن لحـاء شجر البيبلوس والتي قدمهـا المصريون . وأقيمت فوق صف مؤلف من ٣٦٠ بارجة ، راسية ، أرضية من ألـواح خشب مغطاة بالتراب أقيم على كل طرف من جانبيها درابزين كيلا تجفل الخيول من رؤية الأمواج . ولكن هـاج البحر وحطمت أمواجه الجسر وهنا استسلم كيخسرو لاحدى نزوات غضبه المعتادة. وبلغ الهياج به حداً جعله يأمر بقطع رؤوس العمـال الذين نصبوا الجسر المذكور . وأمر « بجلد » البحر عقابا على سفاهته فضربت ضفتاه بالسياط . وهكذا ضـاع الكثير من الضربات بالماء .

وانهمرت الأرتال العسكرية من تراقيا في اتجـاه مقدونيا سالكة طريق الغزو المعهود بمحاذاة ساحـل البحر وكأن الغزاة يسيرون بخطى متسارعـة لاسيما وان عتادهم كان مشحونا فوق سفن الاسطول ، ذي المظهر الرهيب ، والذي كان يتألف

---

(٣) نسبة الى بلاد الساس ، اي تركستان الحالية بين سيرداريا وآموداريا ، وربما هي بلاد الشاش ايام العباسيين .

(٤) نسبة الى هيركانيا وهي البلاد الواقعة على سواحل بحر الخزر الجنوبية .